صفية الباهلية

صفية شاعرة أعرابية في قومها، محبوبة عندهم، وذات مقام رفيع. كان لها أخ من السراة المغاوير، وكانت تحبه كثيراً. غزا مع قومه حياً من العرب فقتل في الغزاة. ولما بلغها الخبر حزنت عليه حزناً شديداً، ورثته بعدة قصائد. ويرى ابنُ عبد ربه أن المرثيَّ زوجُها في باب «مَن رثت زوجها». بينما ابنُ قتيبة في «عيون الأخبار» يؤكد أن الرثاء في أخيها. ولم يُعرف زمان وجودها.

قالت صفية: [من البسيط]

كنّا كغصنينِ في جُرثومةٍ سَمَقا ... حيناً بأحسَنِ ما تَسْمو له الشَّجَرُ (١)

حتى إذا قيلَ: قد طالتْ فروعُهما ... فطابَ فيئاهُما واسْتُنْظِرَ الثَّمَرُ (٢)

أَخْنى على واحدٍ رَيْبُ الزمانِ وما ... يُبْقي الزمانُ على شيءٍ وما يَذَرُ (٣)

فاذْهَبْ حَميداً على ما كانَ من أثرٍ ... فقد ذهبْتَ وأنتَ السمعُ والبصرُ

وما رأيتُكَ في قومٍ أُسَرُّ بِهِم ... إلا وأنتَ الذي في القومِ تُشْتَهَرُ

كنا كأنجمِ ليلٍ بينَها قمرٌ (٤) ... يَجْلو الدُّجى، فهوَى مِن بينها القمرُ

---

(١) سمقا: طالا في كمال. الجرثومة: الأصل. وسمقا في عيون الأخبار: سَمَوا. وجاء صدر البيت.

(٢) طاب فيئاهما: استطيب ظلهما. استنظر الثمر: صار يُنتظر ثمرهما. وروي «استنضر» أي صار نضراً غضاً. فيئاهما في عيون الأخبار: قنواهما، وهو عنقود النخل.

في الحماسة للبحتري:

عِشنا جميعاً كغصني بانة سمقا

(٣) أخنى: أفسد عليه، وهو جواب إذا، ما يبقي الزمان: اعتراضية.

(٤) وفي عيون الأخبار: وسطنا قمر.. من بيننا القمر. وفي حماسة البحتري: بيننا قمر.

المصادر:

- شرح الحماسة للمرزوقي: ٢/٩٤٨، عدا الأخيرين.
- عيون الأخبار: ٣/٦٦، عدا الرابع والخامس.
- العقد الفريد: ٣/٢٧٧.
- الحماسة للبحتري، وفيه أن اسمها طَيبة الباهلية.

صفية بنت ثعلبة

هي أختُ عمرِو بنِ ثعلبة الشيبانيِّ أحدُ أبطال معركة ذي قار، وقائدُ العرب في معركتهم الأخيرة ضد العجم. شاركت صفية قومها في حربهم ضد الفرس، وأجارتِ الحرقةَ هندَ بنتَ النعمان (انظرها)، وحمتها بعد أن رفضت القبائل أن تجيرها خوفاً من الفرس. ونبهت قومها بالاستعداد للحرب، وتحثهم على الوقوف ضد جيوش كسرى، فقالت: [من الكامل]

أَحْيوا الجِوارَ فَقَدْ أماتَتْهُ مَعاً ... كُلُّ الأَعارِب يا بَني شَيْبانِ (١)

ما العُذْرُ؟ قَدْ لفَّتْ ثِيابي حُرَّةٌ ... مَغْرُوسَةٌ في الدُّرِّ والمَرْجانِ (٢)

بِنْتُ المُلوكِ ذَوي المَمالِكِ والعُلى ... ذاتُ الحِجالِ وَصفْوةُ النُّعْمانِ (٣)

أَتَهاتَفُونَ وتَشْحَذُونَ سُيوفَكُمْ ... وَتُقَوِّمُونَ ذَوابِلَ المُرَّانِ؟ (٤)

وتُسوِّمُونَ جُنُودَكُمْ يا مَعْشَري ... وتُجَدِّدُونَ حَقِيبَةَ الأَبْدانِ؟ (٥)

وعلى الأَكاسِرِ قَدْ أَجَرْتُ لِحُرَّةٍ ... بِكُهولِ مَعْشَرِنا وبالشُّبَّانِ

شَيْبانُ قَوْمي هَلْ قَبِيلٌ مِثْلُهُمْ ... عِنْدَ الكِفَاحِ وكَرَّةِ الفُرْسانِ؟ (٦)

لاَ والذَّوائِبِ مِنْ فُرُوعِ ربيعَةٍ ... ما مِثْلُهُم في نائِبِ الحَدَثانِ (٧)

---

(١) تشير إلى جوار هند بنت النعمان حين امتنعت القبائل عن جوارها.

(٢) أي إن هنداً ذات أصالة وعراقة. حرة: عربية أبية هي هند.

(٣) الحجال: الخلاخيل: ومن تزدان بها أميرة مرفهة.

(٤) تهاتفون: تتهاتفون، تتنادون. تشحذون: تسنون. المران: الرماح اللينة في صلابة.

(٥) تسومون جنودكم: تُعدونهم، من سام الأمرَ: كلفه إياه.

(٦) قبيل: قبيلة.

(٧) الذوائب: شعر مقدم الرأس.

قَوْمٌ يُجيرُونَ اللَّهيفَ مِنَ العِدا ... ويُحَاطُ عمري مِنْ صُرُوفِ زَماني [١]
تَرِدُ الهِياجَ بَنُو أبي لا تَتَّقي ... مَسْطَى العَدُوِّ وَصوْلَةَ الأَقْرانِ [٢]
إني حُجَيْجَةُ وائِلٍ وبِوائلٍ ... يَنْجُو الطَّريدُ بشَطْبةٍ وحصانِ [٣]
يا آلَ شيبانَ ظَفِرْتُم في الدُّنا ... بالفخرِ والمعروفِ والإحسانِ

فرحب بنو شيبان بجوارها، وأكرموها، وحاربوا جنود كسرى وكسروهم شر كسرة، وغنموا منهم غنائم كثيرة. فقالت صفية في ذلك: [من البسيط]

ساقَتْ فَوارِسُ شَيْبانٍ لِمَعْشَرِها ... خَيْرَ الصَّنائِعِ فيها طفْرَةُ العَجَمِ [٤]
غُنماً سَبايا مِنَ الدِّيباجِ فَرْشُهُمُ ... والتُّسْتَريِّ وأَفْنانٍ مِنَ القِسَمِ [٥]
ثَمَّ النُّضارِ وفيه الدُّرُّ مُنْتَظِمٌ ... واللُّؤلؤ العَجمِ المَعْرُوفِ بالنُّظُمِ [٦]
أَهْدَى أخي عَمْرُو خَيْرَ الغُنْم فانْتَظِرُوا ... عِنْدَ الصَّباحِ جِباهَ الخَيْلِ بالخَدَمِ [٧]
يا آلَ شَيْبانَ بَعْدَ اليومِ لا صَدَرٌ ... عَنِ الكِفاحِ وَضَرْبٍ مُتْلفِ القُمَمِ
إني وَعَمْراً على وَعْدٍ يَفِيءُ بِهِ ... مِنَ الوَفاءِ وأَسْبابٍ مِنَ الذِّمَمِ
هذا مَقَالي وقَوْمي قَائلُونَ معي ... كما أَقُولُ لِسانٌ صادِقٌ بِفَمِ
أنا الحُجَيْجَةُ مِنْ قَوْمٍ ذَوي شَرَفٍ ... أُولي الحِفاظِ وأَهْلِ العِزِّ والكَرَمِ
والعِزُّ فيهم قَديماً غَيْرُ مُقترفٍ ... والجَارُ فاعْلَمْ عزيزاً دارُهُ بهمِ [٨]
قُولوا لِكسرى: أَجَرْنا جارَةً فَثوتْ ... في شامِخِ العِزِّ يا كِسْرى على الرُّغُمِ [٩]

---

(١) اللهيف: الملهوف، المستجير. صروف زماني: مصائبه.
(٢) المسطى: السطوة. الأقران: الأنداد.
(٣) حجيجة: صفة صفية وبهذا اللقب تدعى وتفتخر. وائل: جد قبيلة منها بنو شيبان. الشطبة: الفرس السبطة اللحم.
(٤) طفرة العجم: وثبتهم.
(٥) تذكر أغنامهم: الديباج: الحرير الغليظ الملون. التستري: الحرير المنسوب إلى بلدة تُستر في بلاد فارس.
(٦) النضار: الذهب.
(٧) الخدم: الأسرى.
(٨) مقترف: مستحدث.
(٩) ثوت: أقامت.

نَحْنُ الذينَ إذا قُمنا لِداهِيةٍ لَمْ نَبْتَدِعْ عِنْدَها شيئاً مِنَ النَّدَمِ
نَحُوطُ جارَتَنا مِنْ كُلِّ نائِبَةٍ ونَرْفِدُ الجارَ ما يَرْضَى مِنَ النَّعَمِ (١)

ثم إن قواد جيش كسرى أرسلوا رسولين إلى بني شيبان، فطلبا منهم أن تنزل الحرقة على طاعة «منصور» ـ وهو عربي ـ أحد قادة كسرى، وهو مستعد لتبرئة الشيبانيين مما فعلوا. ولقي الرسولان صفيةَ الحجيجةَ فقالت لهما: [من البسيط]

قُولا لِمَنْصُورٍ لا دَرَّتْ خَلائِفُه ما صاحَ فِيهِمْ غُرابُ البَيْنِ أو نَعَقا (٢)
مَنْ زَوَّجَ الفُرْسَ يا مَتْبُولُ قَبْلَكُمُ مِنَ الأعارِبِ يا مَخذُولُ أوسَبَقا؟ (٣)
إخْتَرْ عَدِمْتُكَ مِنْ فَدْمٍ أخا ثِقَةٍ فَانْطِقْ فَأنْتَ أشَرُّ النَّاسِ إن نَطَقا (٤)
يا وَيْحَ أُمِّكَ يا مَنْصُورُ إنَّ لَنا خَيْلاً كِراماً تَصُونُ الجارَ ما عَلِقا (٥)
باللَّهِ لا نالَ مَنْصُورٌ لِجارَتِنا وكُلُّ جَيشٍ يَجينا يَرْجِعَنْ فِرَقا (٦)
فَمُتْ بِغَيْظِكَ يا مَنْصُورُ واحْيَ على بَغْضاكَ قَوْمي وَشَمِّرْ كُلَّ يوْمٍ لِقا
واحْذَرْ تَمنَّى فَما تُعطَى مُناكَ بِها تلكَ الأماني تُعِيدُ الضعفَ والفَرَقا (٧)
آلَتْ بَنُو بَكْرَ تَرْضَى ما كتبتَ بِهِ يا ابنَ الدَّنِيَّةِ فاجمِلْ إنْ أرَدْتَ بَقا (٨)

فحاربهم المنصور بجنودِ كسرى فكسروه، فاستنجد بسيده كسرى فأمدَّه بعشرين ألفاً مع عتاد وسلاح. ولما علمت صفية بأمر الإمدادات قالت: [من البسيط]

ماذا أحاذِرُ من عشرينَ يَقْدُمُهم منصورُ في حَيِّ غسانَ على نُجُبِ (٩)

---

(١) نائبة: مصيبة. النعم: الأنعام، وهي الإبل والماشية.
(٢) خلائفه: ضروعه، تدعو عليه بانعدام الخير عليه.
(٣) المتبول والتبيل: من ذهب عقله.
(٤) الفدم: العيي عن الكلام في رخاوة وقلة فهم، الأحمق. أشر: اسم تفضيل، والمشهور أن حب وخير وشر اسم تفضيل على حالها.
(٥) علق: استجار.
(٦) لا نال: دعاء على منصور. يرجعن: النون نون التوكيد الخفيفة.
(٧) تخاطب منصوراً وتحذره من أن يتمنى النصر، وتحث قومها. الفرق: الخوف.
(٨) الصدر مضطرب الوزن. ولعل بعض شعرها موضوع. آلت: أقسمت بنو بكر بألا ترضى.
(٩) غسان: قبيلة تقيم في جنوب بلاد الشام، وهم خصوم المناذرة. نجب: صفة للخيل الكريمة.

مِنَ الجِيادِ عليها الحَيُّ مِنْ يَمنِ والعُجْمُ تَزفُلُ في المَاذِيِّ واليَلَبِ (١)
وَعِنْديَ الأفْقَمُ الهَمَّاسُ في فِئَةٍ مِنْهُمْ ظَلِيمٌ وعَمَّارُ بنُ ذي كرِبِ (٢)
وُعُقْبَةٌ وَعبَادٌ والرَّبيعُ إلى ذي العِزَّةِ الفارِسِ الحَمَّالِ بالكُثَبِ (٣)
والصَّلْتُ معْ سالمٍ والمالِكانِ معاً ومُسْلِمٌ بَعْدَ بَكْرِ الفارسِ الأرِبِ
ونافِعٌ وعُميرٌ والمروِّحُ في فُرْسانِ شَيْبانَ لا مِيلٍ ولا غُضُبِ (٤)
والأحْوصانَ وأَعْوافٌ وأحسَبُهُم وابنُ المسيِّبِ منْ ذي الخَيلِ بِالقُضُبِ
يا عَمرُو، عَمْرُو أجِبْني يا ابْنَ ثَعْلَبَةٍ يا شِبْهَ بَرَّاقَ يوْمَ القَتْلِ والسَّلَبِ (٥)
لأجْلِ عِشْرينَ ألفاً أُضْحِ (٦) صارِخَةً في آلِ بَكْرٍ؟ وذَا شيءٌ مِنَ العَجَبِ!
لا تَكْشِفُوني بهذا اليَوْمِ وارْتَقِبُوا يَوْمِي لِوَقْتِ اجتماعِ العُجْمِ والعَرَبِ

وهبَّ الرجال الذين عدَّدَتهم في شعرها، واستعدوا للحرب. حتى إذا جاء جيش المنصور هاجمهم بنو شيبان ومُعاضِدوهم، وما هي إلا جولات ومصاولات حتى عاد الأعاجم ومرتزقَتُهم مكسورين مخذولين. فجدد كسرى العزم، وأرسل قوى أعظم من ذي قبل. وكان لكسرى قائد عربي يدعى «الطُّميح»، فأحسَّ بالخطر يداهم العرب، فأرسل إلى بني شيبان سراً يحذرهم ويطلب إليهم الاستعداد الكبير. فأجابته صفية: [من الكامل]

للَّهِ دَرُّك مِن نَصيحٍ صادقٍ والنصحُ رأيُك أيها الإنسانُ (٧)
واللَّهُ يَجْزِيْكَ الذي أرْسَلْتَهُ إنَّ الْمهَيْمِنَ واصِلٌ منَّانُ (٨)

(١) تشير إلى أن الغسانيين أصلهم من اليمن. الماذي: كل سلاح من حديد. اليلب: الدروع اليمانية من جلد أو فولاذ.
(٢) كلها أسماء من بني شيبان، وكذا البيت بعده.
(٣) خففت (عباد) ضرورة. الكثب: المجتمع القليل، وهي تريد الكثير.
(٤) الميل: جمع أميل وهو الجبان.
(٥) عمرو أخو الشاعرة.
(٦) حذفت الشاعرة الياء من «أضحي» ضرورة، وضرورات الشاعرة متكررة.
(٧) الدر: اللبن، ولله درك: لله ما خرج منك من خير.
(٨) المهيمن: المؤمن، من آمن غيره من الخوف. وصارت من أسماء الله تعالى.

أَصْبَحْتَ في شَيْبانَ حَوْلَ صَنائِعٍ ... فَلْتَسْتَعِدَّ لِحَمْلِها شَيْبانُ (١)
ناصَحْتَهُمْ وشَرِكْتَ في مَحدِودِهِم ... والسِّرُّ عِنْدَكَ فِيهِمُ إعْلانُ
فَلَكَ الجَزاءُ بِمِثْلِها في حادِثٍ ... لا تَأْمَنَنَّ، وأيْنَ مِنك أمانُ؟
والدَّهْرُ يأتي بالقُصَارى باقِياً ... واعْلَمْ، فَدَيْتُكَ، أنَّه خَوَّانُ (٢)
وَلَسَوْفَ يَدْعُونِي غداً فأُجِيبُه ... ولَسَوْفَ تُقْضَى فُرْصَةٌ ويُدانُ
جاءَ الرَّسُولُ بِنُصْحِه وَلأنَّه ... مَحفُوظَةٌ أسْرارُهُ وتُصانُ
لَكِنَّ دُونَ السِّلْمِ سُمْرٌ ذُبَّلٌ ... لِمعاشِرِي مِنْ مَعْشَرٍ فِتيانُ (٣)
وَصَوارِمٌ مَشْحُوذَةٌ وَسَوابِغٌ ... وأبُو جِيادٍ كُلُّهنَّ حِصَانُ (٤)
واليَوْمَ يَوْمُ حُجَيْجَةٍ مِنْ وائِلٍ ... جاءَتْ بِها الأنباءُ والأزْمانُ
وَلَعَمْرُ جَدِّكَ إنْ عَنانِي جُنْدُهُ ... فَمعِي لَهُ الشَّفَراتُ والمُرَّانُ (٥)
شَيْبانُ قَوْمِي والأعارِبُ دَعْوَتِي ... وَعَزِيزَةٌ فِيهِمْ فَلَسْتُ أُهانُ
قُلْ لِلطُّمَيحِ: فَدَتْهُ فِتْيانُ الوَغَى ... عِنْدِي لِكِسْرَى القَلْبُ والأبْدانُ
باللَّهِ أفْزَعُ مِنْ كَثِيفِ جُنُودِهِ ... وأنا تُجِيبُ لِدَعْوَتِي العُرْبانُ (٦)
فَلْيأتِ كِسْرى والأيافِثُ بَعْدَهُ ... والتُّرْكُ والأدْلامُ والحُبْشانُ (٧)
وَلَدِيَّ أبْيَضُ صارِمٌ ذُو صَعْدَةٍ ... عِنْدَ الكَرِيهَةِ باسِلٌ مِطْعانُ (٨)
جِنِّيُّ حَرْبٍ في الحُرُوبَ مُجَرَّبٌ ... وَلَدى السَّلامَةِ إنَّه إنْسانُ

(١) الصنائع: الأفعال الحسنة.
(٢) القصار والقصارى: الجهد والغاية من كل أمر.
(٣) السمر الذبل: صفة للرماح اللدنة.
(٤) صوارم مشحوذة: سيوف مصقولة مسنونة. السوابغ: الدروع التي تغطي الجسم.
(٥) المران: الرماح اللينة التي لا تنكسر.
(٦) بالله أفزع: بالله لا أفزع. كثيف جنوده: جنوده الكثيرين.
(٧) الأيافث: الأقوام من بني يافث، وهم الفرس وغيرهم ممن ندعوهم اليوم الشعوب الهندية الأوروبية، نسبة إلى يافث بن نوح. الأدلام: الديالمة، وهم الفرس من سكان جنوب بحر الخزر. الحبشان: أهل الحبشة. تشير إلى تعدد الأقوام في جيوشهم.
(٨) الصعدة: القناة المستوية المستقيمة.

هَزَمَ الجُيوشَ بِجَحْفَلٍ مِنْ قَوْمِه ... لاقِيهِ يَوْمَ لِقائِه خَسْرانُ
عِنْدي السَّلاهِبُ والقَواضِبُ والقَنا ... ومُدَجَّجُونَ الشُّمْطُ والشُّبَّانُ (١)
وأنا الحُجَيْجَةُ مِنْ ذُؤابَةِ وائِلٍ ... وأنا المُجيرَةُ والقَنا رَعْفانُ (٢)
يا وائِلٌ ثُورُوا فَذا مِيقاتُكُم ... وَلِكُلِّ أمرٍ يا جَليلُ زَمانُ
هذا زَماني قَدْ دَنا مِيقاتُه ... هذا الأوانُ لِما زَعَمْتُ أوانُ
أَبْلِغْ طُمَيْحاً يا رَسُولُ وَقُلْ لَهُ: ... بِسُيوفِ تَغْلِبَ تُغْلَبُ الأقْرانُ
لا تَجْزَعَنَّ على رَبيعَةَ إنَّهُم ... أَهْلُ النَّصيحَةِ، يا فَتَى، شيبانُ

ثم قالت لقومها: أتستقيمون وتصبرون، أم أستجير لي ولجارتي (هند) بقبائل غيركم، وأريكم العزَّ الأعزَّ، والعديد؟ وقالت: [من البسيط].

ماذا تَرَوْنَ، بني بَكْرٍ، فَقَدْ نَزَلَتْ ... كُبْرَى الذَّوائِبِ والأُخْرَى على الأثرِ (٣)
أَتَصْبِرونَ لِشَعْواءٍ مُلَمْلَمَةٍ ... فِيها الأعاجِمُ بالنُّشَّابِ والوَتَرِ؟ (٤)
أمْ لَسْتُمُ أَهْلَ صَبْرٍ في لَوازِمِها ... عِنْدَ الحفائظِ والجاراتِ والخَفَرِ (٥)
إني أجَرْتُ بِكُم يا قَوْمُ فاصْطَبِروا ... فالصَّبْرُ يَحْلُلُ فَوْقَ الأنْجُمِ الزُّهُرِ
إيهاً أجِيبوا بَني بَكْرٍ حُجَيْجَتَكُمْ ... ما عِندَكُمْ وَيْحَكُمْ مِنْ غايَةِ الخَبَرِ (٦)
يا أيُّها الشُّمُّ أنتُم حافِظُوا ذِمَمي ... وأنتُمُ فَلَعَمْري العِزُّ مِنْ عُمُري (٧)
إنَّا صَبَرْتُمْ فلا أدْعُو لِغَيرِكُمُ ... وإنْ جَزِعْتُم أُنادي كُلَّ ذي حُضُرِ (٨)

---

(١) السلاهب: جمع السَّلهب وهو الطويل؛ تريد الخيل الطويلة. القواضب: جمع قاضب، وهو السيف الشديد القطع. الشمط: الكهول الشائبون.
(٢) رعفان: يسيل الدم منه.
(٣) الذوائب (هنا): جمع الذؤابة، وهو ذؤابة القوم: المتقدم فيهم.
(٤) الشعواء: الغارة، وهي في الأصل المتفرقة الممتدة. الململمة: الجيش الكثير المتجمع.
(٥) لوازمها: يريد أحداث الحروب. الحفائظ: اسم للذب عن المحارم والذب عنها. الخفر: الحماية والتأمين.
(٦) إيهاً: استمروا وتابعوا الحديث، وإيهِ: اسم فعل أمر للاستزادة من حديث أو فعل. ويحكم: كلمة تستخدم في المديح والتعجب غالباً، وللذم يقولون: ويلكم.
(٧) الشم: جمع الأشم، هو السيد ذو الأنفة، الكريم.
(٨) إما صبرتم: إن صبرتم. جزعتم: خفتم.

بِكُلِّ سامٍ إلى الهَيجاء ذي شَرَفٍ واري الزِّنادِ كريمِ الجدِّ مِنْ مُضَرِ (١)
ذي مِرَّةٍ لا يَخافُ الجُنْدَ إن كَثُرُوا في سادَةٍ قادَةٍ مَعروفَةٍ صُبُرِ (٢)

وراحت صفيةُ تتجول بين القبائل المصطفَّة والمستعدة لخوض الحرب وتحثُّهم بالرجز فخاطبت بني حنيفة، وبني لُجيم، وبني عِجل، وبني ذُهل. نكتفي بما قالته لبني حنيفة: [رجز]

إيهاً أَجِيدوا الضربَ يا حنيفَهْ فأنتُمُ الجمجمةُ الشَّريفَهْ
أهلُ اللِّقا والعُمدةُ المعروفَهْ والعُدَّةُ المنسوجَةُ الموصوفَهْ
حامي على أعراضِكِ النظيفَهْ الطاهراتِ ويَحَكِ العفيفَهْ
إنَّ الجنودَ حولكُم كثيفَهْ فلا تَهَلْكُمْ وتَزِدْكُم خِيفَهْ (٣)

وبعد أن أتمَّت إنشادَ حماساتِها الرجزية الأربع تقدمت قومَها بني شيبان، وقادتهم إلى ساحة الوغى وهي تنشد: [من الرجز]

إيهاً بني شيبانَ صَفّاً بعدَ صَفّ مَن يُرِدِ العَلياءَ لم يَخْشَ التَّلَفْ
مَنْ حاذَرَ الموْتَ تَنَحَّى وَوَقَفْ إنَّ الشُّجاعَ باسِلٌ فيه الصَّلَفْ (٤)
إنْ تُقْبِلوا نَظفَرْ ونَحْذَرْ ونُخَفْ وفي الفِرارِ يُولِجُوا فينا الأُكُفّ (٥)
اليَومَ يَوْمُ العِزِّ مَوْصُوفُ الشَّرَفْ إنْ حافَظَتْ قَومي فما بي مِنْ أَسَفْ
أنا ابنةُ العزِّ وعِرْضِي اليومَ عَفّ بِكُلِّ نَصْلٍ كالشِّهابِ المخْتَطَفْ (٦)
نَخْطَفُ قَوْماً قَدْ عَفَوْنا بِسَرَفْ (٧)

والتحم الجيشان، وكاد العرب ينكشفون أمام الأعاجم. فما كان من صفية

(١) سام: متطلع. الهيجاء: الحرب. واري الزناد: ورت النار: اتقدت، وورى الزنادُ: خرجت ناره.
(٢) المرة: الفتل، وذو مرة: ذو قوة وبأس.
(٣) كثيفة: كثيرة العدد. لا تَهلكم: من الهول وهو الهلع. خيفة: خوفاً.
(٤) تنحى: اعتزل. باسل: شجاع. الصلف: الشدة والصلابة.
(٥) يولجوا: يُدخلوا.
(٦) عف: عفيف. نصل: سيف.
(٧) عفا فلاناً: أتاه يطلب معروفه. السرف: تجاوز الحد والاعتدال. والمعنى أننا نهاجم القوم بسرعة فائقة، حتى إذا أتونا يطلبون العفو سخونا عليهم وعفونا.

إلا أن قطعت حبال الهوادج، لتزيد من حماسة الرجال على نسائهم. وصاحت بأخيها عمرو:

يا عمرُو ياعمرُو الفتَى ابنَ ثعلبَهْ حامِ على جارَتِكَ المُسْتَقْرَبَهْ
وزاحِمِ العُجْمانَ عندَ العَقَبَهْ

واشتدت الحرب ورجحت كفة العجم، لكن بني يشكر وصلوا للعرب مدداً بقيادة ظَليم بن الحارث، فدنا النصر من العرب. فقالت صفية مخاطبة قومها: [من الرجز]

هذا ظَليمٌ جاءَكم في يَشْكُرِ بالقُبِّ والمُرّانِ والسَّنَوَّرِ
كَليثِ غاباتٍ مَهُوسٍ مُخْدِرِ يا فارساً تحتَ العجاجِ الأكدَرِ
هذا ظَليمٌ من كرامِ معشرِ احمِلْ هُدِيتَ حملةَ المنتَصِرِ

واستمرت المعارك يوماً بعد يوم، وصفية ترسل الأرجاز تباعاً، حتى حلَّ النصر للعرب. وإنما أطلنا هنا، كما أطلنا في ترجمة الحرقة هند بنت النعمان لأهمية الحدث القومي، وهو الوقوف في وجه الأعاجم صفاً واحداً.

المصادر:

انظرها في مصادر الحرقة بنت النعمان.

صفية بنت عبد المطلب
عمة رسول الله ﷺ

كان لعبد المطلب جدِّ النبي ﷺ من الولد عشرةٌ من الذكور، ومن الإناث ستُّ بنات. الذكور هم: عبد الله (أبو النبي)، وأبو طالب (واسمه عبد مناف)، وحمزة، والعباس، وضرار، والمقوَّم، وأبو لهب (واسمه عبد العُزَّى)، والغَيْداق (لكثرة سماحة وخيره)، والحارث وهو أكبر أبناء عبد المطلب، وبه كان يُكنى.

أما الإناثُ فهنَّ: عاتكة، وأميمة، والبيضاء (وهي أم حكيم)، وبَرَّة، وأروى. وصفية وهي أشهرهن، وأقربُهن من ابن أخيها محمد بن عبد الله ﷺ.

لم يختلفْ أحدٌ في إسلام صفية، غير أنهم اختلفوا في إسلام سائر أخواتها.

وقد كانت من المتقدمات في الإسلام؛ أسلمت قبل معركة أحد، وشاركت أسماءَ بنتَ عُميس بغسل «أم كلثوم» ابنة رسول الله ﷺ، وزوجة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٩هـ.

كان لها مولاةٌ تُدعى «سلمى» فأهدَتْها إلى النبي ﷺ، فزوجها أبا رافع، فأنجبت له عبد الله. وسلمى هي التي وَلَّدت إبراهيمَ بنَ محمد ﷺ، وهي التي غسلت فاطمة مع علي وأسماء. وهي التي روت حديثَ الهرة: «إن امرأة عُذِّبت في هرةٍ ربطتها، فلم تطعمها ولم تتركها تأكل من خِشاش الأرض» (١).

كانت صفيةُ بنتُ عبد المطلب عند الحارث بن حرب بن أمية، ثم خلف عليها العوَّامُ بنُ خُويلد، فأنجبت منه الزبيرَ بنَ العوام أحدَ العشرة المقطوع لهم بالجنة، وهو الذي سماه النبي ﷺ الحواريّ. وأنجبت منه «السائب» الذي قتل يومَ اليمامة شهيداً، وأم حُبيب. وهي أختُ حمزة لأمه، وتحبه كثيراً. أسلمت ثم هاجرت إلى المدينة مع من هاجر من المسلمين.

شعرها:

حفظت لنا كتبُ الأنساب والتاريخ والسير عشراً من القصائد والقطع، سبعٌ منها في الرثاء، واثنتان في ولديها الزبير والسائب، وواحدة في الفخر، ولعل أول شعر وصلنا من نظمها ما قالته في البكاء على أبيها عبد المطلب قبل أن يموت.

يروى أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة، وعرف أنه ميت، جمعَ بناتِهِ ـ وكن جميعاً شاعرات ـ فقال لهن: «ابكينَ عليَّ حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت». وقد جمعنا ما قالته بناته فيه على مسمعه. غير أننا نقتصرُ هنا على شعر صفية. فقد جفا النومُ صفية حينما ذكَّرها أبوها بدنو أجله، وفاضت دموعها حسرةً عليه. وراحت تعدد مآثره، وتشيد بشهامته وكرمه وصدقه؛ فهو الرجل المطاع، الرفيع المنزلة في قومه، الأصيل الكريم الجد، العظيم الحليم. ولو أن امرأ يخلد بهذه الصفات لكان أباها. ومما رثته فيه قولها [من الوافر]

أرِقْتُ لصوتِ نائحةٍ بليلٍ ... على رجلٍ بقارعةِ الصَّعيدِ (٢)

---

(١) خشاش الأرض: حشرات الأرض والعصافير ونحوها.

(٢) قارعة الصعيد: أعلاه ومعظمه.

فـفـاضَـتْ عـنـدَ ذلِـكُـمْ دُمـوعـي ... عـلـى خَـدِّي كـمـنـحـدِرِ الـفَـريـدِ (١)
عـلـى رجـلٍ كـريـمٍ غـيـرِ وَغْـلٍ ... لهُ الـفـضـلُ الـمُـبـيـنُ عـلـى الـعـبـيـدِ (٢)
عـلـى الـفَـيَّـاضِ شَـيـبـةَ ذي الـمـعـالـي ... أبـيـكَ الـخـيـرِ وارثِ كُـلِّ جُـودِ (٣)
صـدوقٍ فـي الـمـواطـنِ غـيـرِ نِـكْـسٍ ... ولا شَـخْـتِ الـمـقـامِ ولا سَـنـيـدِ (٤)
طـويـلِ الـبـاعِ أروعَ شَـيْـظَـمِـيٍّ ... مُـطـاعٍ فـي عَـشـيـرتـهِ حَـمـيـدِ (٥)
رفـيـعِ الـبـيـتِ أبـلـجَ ذي فُـضـولٍ ... وغـيـثِ الـنـاسِ فـي الـزمـنِ الـحَـرودِ (٦)
كـريـمِ الـجـدِّ لـيـس بـذي وُصـومٍ ... يـروقُ عـلـى الـمَـسَـوَّدِ والـمَـسُـودِ (٧)
عـظـيـمِ الـحـلـمِ مـن نـفـرٍ كـرامٍ ... خَـضـارِمَـةٍ مُـلاوِثـةٍ أسـودِ (٨)
فـلـو خَـلَـدَ امـرؤٌ لـقـديـمِ مـجـدٍ ... ولـكـنْ لا سـبـيـلَ إلـى الـخُـلـودِ
لـكـانَ مُـخَـلِّـداً أُخـرى الـلـيـالـي ... لـفـضـلِ الـمـجـدِ والـحَـسَـبِ الـتَّـلـيـدِ

وحين قَتل حبشي أخاها الأثير حمزة بن عبد المطلب يوم أحد رثته رثاءَ أخت صادقةٍ في حبها لأخيها البطل، صادقةٍ في إيمانها. فقد كان وزيرَ رسول الله ﷺ، والذي لبى نداء ربه ليحشر في جنة النعيم في زمرة الشهداء. ولا عجبَ في ذلك؛ فهو أسد الله. قالت صفية تبكيه: [من الطويل]

أسـائـلـةٌ أصـحـابَ (٩) أُحُـدٍ مـخـافـةً ... بـنـاتِ أبـي مـن أعـجـمٍ وخـبـيـرِ؟
فـقـالَ الـخَـبـيـرُ: إنَّ حـمـزةَ قـد ثَـوَى ... وزيـرَ رسـولِ الله خـيـرَ وزيـرِ (١٠)

(١) شبهت دموعها بالدر الفريد المتحدر، أي كالدر المنحدر. وعلى فتح الدال شبهت الفيض بالانحدار.
(٢) الوغل: الخسيس اللئيم.
(٣) أبيك الخير: أرادت الخيِّر فخففت الياء. شيبة: صفة لعبد المطلب عرف بها.
(٤) النكس: الرجل الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه. الشخت: ضد الضخم. السنيد: الضعيف الذي لا يستقل بنفسه حتى يسند رأيه إلى غيره. وتروى «شخت»: شخب.
(٥) الشيظمي: الطويل الفتيّ الضخم.
(٦) الزمن الحرود: القليل الخير. ويروى: الجرود، أي المحمل.
(٧) الوصوم: الوصمات.
(٨) الخضارم: جمع الخِضْرِم، وهو الكثير العطاء. ملاوثة: جمع ملواث، من اللوثة وهي القوة.
(٩) وفي شاعرات العرب: أسائلُ عن أصحاب.
(١٠) ثوى: مات.

دعـاهُ إلـهُ الـحـقِّ ذو الـعـرشِ دعـوةً ... إلـى جـنـةٍ يَـحـيـا بـهـا وسُـرورِ
فـذلـك مـا كـنـا نُـرَجِّـي ونَـرْتَـجـي ... لـحـمـزةَ يـومَ الـحـشـرِ خـيـرَ مـصـيـرِ
فـواللَّـهِ لا أنـسـاكَ مـا هَـبَّـتِ الـصَّـبـا ... بـكـاءً وحـزنـاً مَـحـضـري ومَـسـيـري (١)
عـلـى أسَـدِ الـلَّـهِ الـذي كـان مِـدْرَهـاً ... يـذودُ عـن الإسـلام كـلَّ كَـفـورِ (٢)
فـيـا لـيـتَ شِـلْـوي عـنـدَ ذاك وأَعْـظُـمـي ... لـدَى أَضْـبُـعٍ تَـعْـتـادُنـي ونُـسـورِ (٣)
أقـولُ، وقـد أعـلـى الـنـعـيُّ عَـقِـيـرتـي: ... جَـزى اللهُ خـيـراً مـن أخٍ ونـصـيـرِ (٤)

وقالت ترثي رسول الله ﷺ: [من الخفيف]

لـهـفَ نَـفْـسـي وبِـتُّ كـالـمَـسْـلـوبِ ... أرقُـبُ الـلـيـلَ فِـعْـلَـةَ الـمَـحْـروبِ
مِـن هـمـومٍ وحـسـرةٍ أَرَّقَـتْـنـي (٥) ... لـيـتَ أنِّـي سَـقَـيْـتُـهـا بـشَـعُـوبِ
حـيـنَ قـالـوا: إنَّ الـرسـولَ قـدَ أمْـسـى ... وافَـقَـتْـه مـنـيَّـةُ الـمـكـتـوبِ
حـيـن جِـئـنـا لآلِ بـيـتِ مـحـمـدٍ (٦) ... فـأشـابَ الـقَـذالَ مـنـي (٧) مـشـيـبُ
حـيـن رَيْـنـا بـيـوتَـهُ مُـوحـشـاتٍ ... لـيـسَ فـيـهـنَّ بـعـدَ عـيـشٍ غـريـبُ (٨)
فَـعَـرانـي لـذاكَ حـزنٌ طـويـلٌ (٩) ... خـالَـطَ الـقـلـبَ فَـهْـوَ كـالـمـرعـوبِ

وقد بلغت صفيةُ الغايةَ فصاحةً وشاعرية في رثائها لابن أخيها عليه الصلاة والسلام، ذلك أن فجيعةَ صفية به مزدوجة؛ فقد أحبه الناس كافةً، وتبعوه، ثم فُجعوا به إذ فقدوه. فهو رسول الله، وابن أخيها. ولهذا نراها تفيض حناناً عليه، وأسًى لفقده. ولعل أول ما رثته به قولها متألمة (١٠): [من البسيط]

---

(١) ما: مصدرية ظرفية. الصبا: ريح تهب من جهة الشرق. محضري: لبثي وإقامتي.
(٢) المدره: مَن يدافع عن القوم. يذود: يدفع ويحمي.
(٣) الشلو: جمعها أشلاء، وهي أعضاء الجسم بعد البلى والتفرق.
(٤) عقيرتي: صياحي. وفي سيرة ابن هشام: عشيرتي.
(٥) وفي الطبقات: ٢/ ٩٤: ردفتني. شعوب: علم للمنية، وهي ممنوعة من الصرف.
(٦) وفي الطبقات: إذ رأينا أن النبيَّ صريع.
(٧) وفي الطبقات: أي. وفي الروي إقواء.
(٨) وفي الطبقات: حبيب. رينا: رأينا، للضرورة.
(٩) وفي الطبقات: أورت القلب ذاك حزناً طويلاً.
(١٠) وينسب البيتان لأكثر من شاعرة، لكن المشهور أنهما لصفية. وانظر شرح نهج البلاغة: ١/ ١٥٤.

قد كانَ بعدَكَ أنباءٌ وهَنْبَثَةٌ لو كنتَ شاهِدَها لم تَكْثُرِ الخُطَبُ (١)
إنّا فقدناكَ فقدَ الأرضِ وابِلَها واختَلَّ قومُك، فاشْهَدْهُم فقد سَغِبوا (٢)

فقد تبدَّلت لهجةُ صفية في هذا الخَطْب الجلل؛ ذلك أن الفقيد أثير عليها جداً. ولهذا كان رثاؤها عليه يتكرر، وفي كل قصيدة نَفَسٌ متميز. وخيرُ ما قالته فيه تلك اليائيةُ التي عبرت عن أسى المسلمين جميعاً. وخاطبت فيها السيدة فاطمة، وابنها الحسن ـ رضي الله عنهما ـ بعاطفة فياضة وفؤاد كليم. وهي طويلة، منها: [من الطويل]

ألا يا رسولَ الله كنتَ رجاءَنا وكنتَ بنا بَرّاً، ولم تكُ جافيا
وكانَ بِنا بَرّاً رحيماً نبيَّنا (٣) لِيَبْكِ عليك اليومَ مَن كانَ باكيا
لَعَمريَ ما أبكي النبيَّ لموتهِ ولكنْ لِهَرْجٍ كان بعدكَ آتِيا (٤)
كأنَّ على قلبي لفقدِ محمدٍ ومن حبِّهِ ذاكَ (٥) المَكاويا
أفاطمُ! صَلى اللهُ ربُّ محمدٍ على جَدَثٍ أمسى بيثربَ ثاوِيا (٦)
أرى حَسَناً أيْتَمْتَهُ وتركتَهُ يُبَكِّي ويَدعو جَدَّهُ اليومَ نائيا (٧)
فدًى لرسولِ اللهِ أمي وخالتي وعَمي ونَفْسي (٨) قَصْرَةً وعِياليا
صبرْتَ وبَلَّغْتَ الرسالةَ صادقاً ومُتَّ (٩) صليبَ الدينِ أبلجَ صافيا (١٠)

---

(١) الهنبثة: الأمر الشديد المختلف. الشاهد: الحاضر. وفي الإصابة: وهنة.
(٢) البيت في اللسان ونهج البلاغة وروايته فيه: «فاشهدهم ولا تغب» وفيه إقواء وضعف. اختل القوم: احتاجوا وافتقروا. السغب شدة الجوع.
(٣) وفي حياة الصحابة ومجلس في السيرة: «وكنت بنا رؤوفاً رحيماً نبينا». وفي الدر المنثور:
وكنت رحيماً هادياً ومعلماً
(٤) الهرج: الفتنة والاختلاط. وفي مجلس في ختم السيرة لعمرك... لفقده.
(٥) وفي الطبقات: وما خفت من بعد النبي. المكاوي: آلات الكي.
(٦) جدث: قبر. ثاوياً: راقداً.
(٧) نائياً: بعيداً. حسناً: سيدنا الحسن بن علي.
(٨) وفي الطبقات ومجلس في ختم السيرة: قصرة ثم خاليا، وفي الدر المنثور:
وعمي وخالي ثم نفسي ومالياً
(٩) وفي الطبقات: وقمت. وفي مجلس في ختم السيرة: وقوّمتَ صلب.
(١٠) أبلج: واضحاً ظاهراً. صليب الدين: متينه.

فلو أنَّ ربَّ العرشِ [١] أبقاكَ بَيْنَنا سَعِدْنا، ولكنْ أمرُه كان ماضيا
عليكَ منَ اللهِ السلامُ تحيةً وأُدْخِلْتَ جناتٍ منَ العَدْنِ راضيا [٢]

يبدو أن زوج صفية تُوفي تاركاً ابنه الزبير يتيماً، فتربى في كنف عمه نوفل بن خويلد. وكان نوفل يحب الزبير ويرعاه. ولما رأى أمه صفية تضربه وتُغلظ عليه عاتبها نوفل وقال لها: «أنتِ تبغضينه!». فتألمت أم الزبير وقالت: [من الرجز]

مَن قالَ إني أبغضُهْ [٣] فقد كذَبْ
وإنما أضربُهُ لكي يَلَبْ [٤]
ويهزمَ الجيشَ ويأتي بالسَّلَبْ
ولا يكُنْ لمالِهِ خَبْءٌ مُخَبْ [٥]
يأكلُ ما في الطَّلِّ مِن تمرٍ وحَبْ [٦]

وقالت ترثي رسول الله ﷺ: [من الخفيف]

عينُ جُودي بعبرةٍ وانْتِحابِ للنبيِّ المطهَّرِ الأثوابِ
وانْدُبي المصطفَى وسُحِّي وجُمِّي بدموعٍ غزيرةِ الأسْرابِ [٧]
عينُ مَن تَنْدُبينَ بعدَ رَسو لِ اللَّهِ قد خصَّهُ بأمِّ الكتابِ؟
واجْتَباهُ بعلمِهِ وارْتَضاهُ وهداهُ بعدَ العَمى للصَّوابِ [٨]
فالحٌ حاتمٌ رؤوفٌ رحيمٌ صادقُ القِيلِ طَيِّبُ الأثوابِ [٩]

(١) وفي الطبقات: رب الناس. وفي الدر المنثور: رب الناس أبقى لنبينا.
(٢) ونسبت هذه القصيدة في الدر المنثور: ٢٦٢ إلى أختها أروى مع اختلاف في ترتيب الأبيات. ولم تذكر المؤلفة سوى خمسة أبيات.
(٣) كذا وردت بالسكون، للوزن.
(٤) لَبِبَ يَلْبَبُ: صار ذا لبّ.
(٥) مخب: أرادت: مخبا، مخففة من «مخبأ».
(٦) الطل والطليل: حصير منسوج من دَوم أو من السعف. وفي الإصابة: يأكل مافي البيت.
(٧) جمي: أكثري.
(٨) اجتباه: اختاره واصطفاه.
(٩) القيل: القول.

مشفِقٌ ناصحٌ حريصٌ علينا رحمةٌ مِن إلٰهنا الوَهّابِ
رحمةُ الله والسلامُ عليهِ وجزاهُ المليكُ خيرَ الثَّوابِ

وقالت ترثي رسول الله [١]: [من الخفيف]

إنَّ يوماً أتى عليكَ ليومٌ كُوِّرَتْ شمسُه وكانَ مُضِيّا [٢]
جَلَّ يومٌ أصبحتَ فيهِ ثَقيلاً لا تَرُدُّ الجوابَ منكَ إليّا [٣]
خُلُقاً عالياً ودِيناً كريماً وصِراطاً يَهْدي إليهِ سَوِيّا
وسِراجاً يَجْلو الظلامَ مُنيراً ونبيّاً مُسَدَّداً عربيّا
حازماً عازماً كريماً حليماً عائذاً بالنَّوالِ بَرّاً تَقِيّا
فعليك السلام منا ومن رَبْـ ـبك بالروح بُكرةٍ وعشِيّا

وقالت تفتخر [٤]: [من الوافر]

فسائلْ في جُموعِ بَني عليٍّ إذْ كَثُرَ التناسُبُ والفَخارُ
بأنّا لا نُقِرُّ الضَّيمَ فينا ونحن لمن توسَّمْنا نُضارُ

كانت صفيةُ بنتُ عبد المطلب عند العوّام بن خُويلد بن أسد، فولدت له الزبير، وسماه النبي ﷺ الحواريَّ، والسائبَ الذي قتل يوم اليمامة شهيداً، وأمَّ حُبيب. وقالت في السائب [٥]: [من الرجز]

يَسُبُّني السائبُ من خَلْفِ الجُدُرْ
لكنْ أبو طاهرٍ زَبَّارٌ أمَرْ
مبذِّرٌ لمالهِ بَرٌّ غَفِرْ

احتفرت كل قبيلة من قريش في رباعهم بئراً، فاحتفرت بنو عبد العزى شُفَيَّة، وبنو عبد الدار «أم أحراد»، وبنو جمح «السنبلة»، وبنو تميم بن مرة «الجَفْر»،

---

(١) انفردت الجوهرة بذكره: ٢/ ١٠٢، والبيت الأول في الإصابة: ٤/ ١/ ٣٤٩.
(٢) كورت: أزيل ضياؤها، أو لفت وطويت. مضيا: مضيئاً.
(٣) جل: عظم. أصبحت فيه ثقيلاً: ميتاً لا تتحرك، وبذلك يثقل الجسد.
(٤) في نسب قريش: ١١، وحده.
(٥) في نسب قريش: ٢٠ و٢٣٦، وحده.

وبنو زُهرة «الغمر»، وبنو هاشم «بَذَّر».

قالت أميمة بنت عميلة: [من الرجز]

نحن حَفَرنا البحرَ أمَّ أَحْرادْ ... ليسَتْ كبَذَّرَ النَّزورِ الجمَّادْ (١)

فتضايقت صفيةُ من ضَرَّتها أميمة، فقالت تردّ عليها وتتباهى ببذر الذي حفره هاشمُ بنُ عبد مناف، جدها، فقالت مرتجزة:

نحن حَفَرنا بَذَّرْ ... نَروي (٢) الحجيجَ الأكبَرْ

مِن مُقبلٍ ومدبِرْ ... وأمُّ أحرادٍ بِشَرّ

فيها الجرادُ والذَّرّ ... وقَذَرٌ لا يُذْكَرْ (٣)

ليس ما ذكرنا كلَّ شعر صفية، ولا كلَّ رثائها لرسول الله ﷺ، ولا خيره؛ فما زال في شعرها فيض. ونحسب أن ما وقع في أيدينا منه ليس كلَّ ما قالت. ولو بقي أكثر لكانت خنساء ثانية للمسلمين. ويروى أن قول المسلمين (٤): [من مجزوء الرمل]

طلعَ البدرُ علينا ... مِن ثنيَّاتِ الوَداعْ (٥)

وجَبَ الشكرُ علينا ... ما دَعا للَّهِ داعْ

إنما بدأ به جواريها بإنشاده، فتبعهُنَّ المسلمون، وليس بعيداً أن يكون لها. توفيت صفية في خلافةِ عمر سنة ٢٠هـ، ولها من العمر ثلاث وسبعون سنة، ودفنت بالبقيع.

المصادر:

- حياة الصحابة: ٢/ ٣٢٨ـ ٣٢٩.

---

(١) أحراد: بئر في مكة قديمة. النزر: القليل التافه.

(٢) وفي معجم البلدان: نسقي. بذر: بئر حفرت على جبل قرب شعب أبي طالب.

(٣) الذر: صغار النمل.

(٤) قيل: إن هذا الشعر أنشد في النبي ﷺ عند عودته من تبوك، أو عند فتحه مكة. والأشهر أنه قيل عند قدومه المدينة. وربما كان ينشد بعد ذلك إثر عودة النبي ﷺ من غزوه.

(٥) الوداع: واد بمكة، وقيل: واد بالمدينة. وثنية الوداع منسوبة إليه.

ـ سيرة ابن هشام: ٣/ ٩٢، و١/ ١٥٦ـ ١٥٧.
ـ البيان والتبيين: ٣/ ٣٦٣، و٤/ ٥٧.
ـ الجوهرة: ٢/ ١٠٢.
ـ الإصابة: ٤/ ١/ ٣٤٩، و١/ ١/ ٥٤٥.
ـ نسب قريش: ١١، ٢٠، ٢٣٠، ٢٣٦.
ـ تهذيب الأسماء واللغات: ١/ ٣٤٩.
ـ شاعرات العرب: ١٧٢
ـ فتوح البلدان: ٦١ و٦٢.
ـ معجم البلدان ـ مادة أحراد وبذر، وفيه نصف الرجز في مادته.
ـ الطبقات الكبرى لابن سعد: ٨/ ٢٤١.
ـ سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٦٩.
ـ مجلس ختم السيرة النبوية: ٢١.
ـ أعيان الشيعة: ١/ ٢٩٦.

صفية بنت مسافر

هي صفيةُ بنتُ مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، شاعرة مشركة. قالت تبكي أهل القليب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش، وتذكر مُصابهم في هذه المعركة: [من البسيط]

يا مَن لعينٍ قَذاها عائرُ الرمدِ ... حدُّ النهارِ وقرنُ الشمسِ لم يَقِدِ (١)
أُخبِرْتُ أنَّ سَراةَ الأكرمينَ معاً ... قد أحرزَتْهُم منایاهُم إلى أمَدِ (٢)
وفرَّ بالقومِ أصحابُ الركابِ، ولم ... تَعطفْ غداتئذٍ أمٌّ على ولدِ
قُومي صفيَّ ولا تَنْسَي قرابَتَهُمْ ... وإنْ بكيتِ فما تبكينَ مِن بَعَدِ (٣)
كانوا سُقوبَ سماءِ البيتِ فانقصَفَتْ ... فأصبَحَ السَّمْكُ منها غيرَ ذِي عَمَدِ (٤)

وقالت صفية أيضاً: [من الهزج]

(١) القذى: ما يقع في العين من الأذى. العائر: وجع في العين. قرن الشمس: أول ما يبدو منها.
(٢) السراة: الأشراف من القوم.
(٣) صفي: منادى مرخم؛ تنادي نفسها.
(٤) السقوب: عمد الخباء. السمك: السقف.

ألا يا مَن لعينٍ للتّ ... تَبَكّي دمعُها فانِ
كغربَيْ دالجٍ يَسْقي ... خلالَ الغَيِّثِ الدّاني (١)
وما ليثُ غَريفٍ ذو ... أظافيرٍ وأسنانِ (٢)
أبو شبلينِ وثّابٌ ... شديدُ البطشِ غَرْثانُ (٣)
كحِبِّي إذْ تولّى و ... وجوهُ القومِ ألوانُ
وبالكفِّ حسامٌ صا ... رمٌ أبيضُ ذُكْرانُ (٤)
وأنتَ الطاعنُ النَّجْلا ... ءِ منها مُزْبِدٌ آنُ (٥)

المصدر:

- سيرة ابن هشام: ٢/ ٣٨٣- ٣٨٤.

(١) الغرب: الدلو العظيمة، وهما غربان. الدالج: الذي يمشي بدلوه بين البئر والشجر.
(٢) الغريف: أجمة الأسد.
(٣) يتغير هنا روي البيت، ولعل ما قبله منفصل عن سائر القطعة. انظر رأي ابن هشام مؤيداً. الغرثان: الجوعان.
(٤) الذكران: أجور الحديد وأيسه.
(٥) آن: حام.